المتن

القاعدة الثالثة

ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك: السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ"[ص: 29]. وقوله تعالى"إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"[الزخرف :3].وقوله - جل ذكره- "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[النحل :44].

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه، ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

وكون القرآن عربيًا ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وبيان النبي صلى الله عليه وسلم القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

الشرح

أظن هذه واضحة.

قال اللهُ تعالى"كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ"[ص:29].

وإذا كان نُزل لتدبر الآيات فمعلوم أن مالا يُمكن الوصول إلى معناه؛ لافائدة من تدبره ؛لأن المقصود بالتدبر الوصول إلى المعنى ولهذا قال:"وَلِيَتَذَكَّرَ"ولاتذكر إلابعد معرفة المعنى. أيضًا يقول "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"[الزخرف :3]. تعقلون إيش ؟

لفظه ولَّا معناه؟معناه ؛وكذلك لفظه؛ بالنسبة للسان العربي لو فُرض أنه لايُعقل معناه؛ لم يكن فرقٌ بين أن يكون باللسان العربي أواللسان الأعجمي العجمي. أيضا يقولُ تعالى"وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[النحل :44] .والرسول- صلى الله عليه وسلم- بيَّنَ القرآن لفظَه ومعناه. فإذا قال قائلٌ: إذن يلزمكم على هذا أن يكون للرسول- صلى الله عليه وسلم- تفسيرٌ في القرآن؟ تفسيرٌ كاملٌ مُجلدات للقرآن؟ فالجواب: أن القرآن بلسانٍ عربي؛ والذين نزل القرآن بلغتهم لا يحتاجون إلى تفسيره إلا في أمورغامضة فسرها الرسول- عليهالصلاة والسلام-.

كقوله:"للذين أحْسَنوا الحُسْنى وزيادة"[يونس:26] قال الزيادة: هي النظرُ إلى وجه الله. وكقوله-ألا إنَّ القوة الرمي-في تفسير-"وأعِدوا لهم مااستطعتُم من قوةٍ" [الأنفال:60]، وما أشبه ذلك، لكن الباقي أمره واضح عند الصحابة ما يحتاج إلى تفسير. فالرسول-صلى الله عليه وسلم- بيَّنَ لفظ القرآن ومعناه ولم يترك منه شيئًا. وحينئذٍ فنقول: نصوص الصفات معلومة واللا غير معلومة؟ نقول معلومة باعتبار المعنى ؛أما باعتبار الكيفية التي هي عليها فهي مجهولة لنا.

المتن

*وأما العقل: فلأن من المحال أن ينزل الله تعالى كتابًا أو يتكلم رسوله صلى الله عليه وسلم بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ويبقى في أعظم الأمور وأشدِّها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء؛ لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال الله تعالى عن كتابه"كِتَابٌ

أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ"[هود: 1].

الشرح

نقول:اللهُ تعالى أنزل كتابًا والنبي-صلى الله عليه وسلم تكلم بكلام ؛ما الغرضُ من هذا الكتاب وهذا الكلام؟ هداية الخلق لمصالح دينهم ودنياهم ؛فهل من المعقول أن يكون هذا الكلام الذي يُقصد به هِداية الخلق لا يُعرف معناه؟بل هو بمنزلة الحروف الهجائية الجواب:لأ ليس من المعقول أبدًا لأن لفظًا لايُعْلم معناه لايُمكن أن يكون هِداية ، ولذلك لو جاءنا واحدٌ أعجمي يبربر يتكلم كلامًا كثيراً طويلاً هل نعرف معناه؟ هل استفدنا من كلامه؟ ما استفدنا من كلامه.إذا قلنا:إن الكتاب والسُنة لايُعرف معناهما فيما يتعلق بالصفات، فمعنى هذا أننا كابرنا المعقول كما أنكرنا المنقول. فالمنقول: كما رأيتم كله فيه دليلٌ على أن القرآن بيانٌ. وكابرنا المعقول: لأنه ليس من المعقول أن ينزل هذا الكتاب ويتكلم هذا النبي بالكلام الذي يُرادُ به الهِداية ولكن المُخاطَبون لايعرفون المعنى إذًا لم يستفيدوا من هذا اللفظ شيئًا.فالضرورة العقلية تستلزم أن يكون القرآنُ معلومَ المعنى ، وكذلك السُنة هذا أمرٌ ضروريٌ عقليٌ ؛ لامحيد عنه.